الدرس الثالث

التعليق على أمثال القرآن من إعلام الموقعين

فضيلة الشيخ مشهور بن حسن –حفظه الله–

الشيخ لم يراجع التفريغ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ وعلى آله وأصحابه أجمعين، أما بعد.

قال المؤلف رحمه الله: ((**ثم ذكر حالهم بالنسبة إلى المثل المائي فشبههم بأصحاب صيب وهو المطر الذي يصوب أي ينزل من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق فلضعف بصائرهم وعقولهم اشتدت عليهم زواجر القرآن ووعيده وتهديده وأوامره ونواهيه وخطابه الذي يشبه الصواعق فحالهم كحال من أصابه مطر فيه ظلمة ورعد وبرق فلضعفه وخوفه جعل أصبعيه في أذنيه خشية من صاعقة تصيبه**)).

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مظل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ان لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن مُحَمَّداً عبده ورسوله، أما بعد.

علامة العافية في هذه الحياة ألا يشتد عليك أمر الله، وألا تحب النواهي التي نهى الله تعالى عنها، وهذه علامة فارقة بين المؤمن والمنافق، فالمنافق أوامر الله تعالى عليه ثقيلة، ولذا نعتهم الله إذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى، والمؤمن يحب أمر الله وينشرح صدره به، بل إن دهمه أمر فزع إليه، كما كان هدي النبي ﷺ، كان إذا فزعه أمر لجأ إلى الصلاة –ﷺ–.

هذا المثل الثاني من الأمثلة التي ساقها المصنف، وهو المثل الثاني في ترتيبه في القرآن الكريم، فهذا المثل عقب المثل السابق، وهذان مثلان ذكرهما الله تعالى للمنافقين، المثل الأول مثل نَّاري فيه إشراق وإحراق،

فالمؤمن نصيبه منه الإشراق، والمنافق نصيبه من المثل الإحراق، وهذا حاله في دنياه وفي البرزخ وفي الاخرة، وهذا المثل الثاني هو شبيه بالمثل الأول من حيث الميدان.

قلنا أنّ ميدان الأمثال في القرآن ثلاثة: التوحيد –وجُل الأمثلة التي ساقها المصنف هي ميدان التوحيد–، ثم الأعمال، ثم الأخلاق، نعم فيه صلة بالأعمال لكن أعمال خاصة لقوم معينين وهم المنافقون دون سواهم، ولذا صنفنا هذا المثل بأنه في ميدان العقيدة، –في ميدان التوحيد– وهذا المثل كالذي قبله مثل ظاهر واضح لائح، وليس مثلاً كائناً خفياً يحتاج إلى استنباط وإلى إعمال ذهنٍ حتى يظهر لك المشَبَّه والمشَبَّه به ووجه الشبه وكيف يسري وجه الشبه مِن المشبه به إلى المشبه، فهذا المثل المشبه هم المنافقون أو الايمان المزعوم في قلوب المنافقين، والمشبه به صورة ومثل وهذا الصورة والمثل ذكرها الله تعالى في الآيات وذكر سبحانه وتعالى عناصر، الأصل الصَيِّب الذي يُصوب من السماء، أي الذي ينزل من السماء، هذا الصيّب هو الحياة، الحياة في هذه الدنيا حرارة وماء، لذا الزرع إذا وجد فيه الحرارة والماء عاش، ولذا الله جل في علاه في كثير من الامثال ولا سيما في ميدان العقيدة ذكر الشجرة، الشجرة الكلمة الطيبة، الكلمة الطيبة كالشجرة، وستأتينا أمثال كثيرة فيها بيان هذا، لكن هذا المثل المشبه به ليس صيّباً، الصّيب حتى يكون لابد أن يقع شيء بالعَرَض، ولا يُراد به لذاته، وهي الظلمات والبرق والرعد، المطر حتى ينزل لابد من يكون في ليل ويكون في ظلمات ويكون في برق ورعد.

نصيب المنافقين من هذا المثل ما هو؟

ظلمات، البرق والرعد؛ الخوف ، المنافق خائف، وهو عابد خائف، وهو يُمثِّل في العبادة لا أمن له؛ المؤمن آمن المؤمن ، لو عُلِّق على المشنقة آمن، مهما فعلت فيه آمن، لذا ابن تيمية لما واجهه أعداؤه قال ماذا تفعلون بي؟ سجني خلوة، نفيي سياحة، موتي شهادة، آمن.. آمن.. ماذا تفعلون بي؟ فالمؤمن الذي استقر الايمان في قلبه هو في حقيقة أمره آمن ، لا يشعر بخوف، والمنافق خائف، ولذا هذا المثل يحتاج لتفصيل، ومنهجنا في شرحنا لأمثال الإمام ابن القيم في كتاب إعلام الموقعين أننا نشرح كلامه بكلامه، فله كلام جميل وبديع في كتابه (اجتماع الجيوش الإسلامية)، فصل في هذا المثل وطوّل فيه، كنت قد

ذكرت لكم في الدرس السابق أو الذي قبله أن ابن القيم ألّف هذا الكتاب (الأمثال في القرآن) ثم بدا له أن يتوسع، الذي بدا لي بعد أن رأيت ترتيب الامثال وطريقة ترتيبها أنه ألّف الامثال المطوّل ثم عَمَدَ إلى الإيجاز والاختصار في هذا الكتاب، عجيب ترتيب الكتاب الذي معنا عجيب، ويظهر هذا العجب في درسنا القادم، القرآن السبع المثناة، المثناة أي التي تُثَنَّى، أو التي يذكر فيها الخير والشر، والايمان والكفر، والشيء والذي يقابله، فابن القيم بعد أن ذكر هذا المثل الناري والمائي في حق المنافقين أعقبه بما دل أنّ الأمثال بين يديه، وأن كتابه كان يعني كاملاً أعقبه بالمثل المائي والناري للمؤمنين؛ والشيء يظهر على وجه التمام والكمال إن ذُكر هو ونقيضه، فالأشياء تتضح بأضدادها، إذا أردت أن توضح الأمر وتبينه تذكر الشيء وتذكر ضده، فلما ذكر الامام ابن القيم المثل المائي والناري للمنافقين أعقب ذلك بسورة النحل وفيها ذكر المثل المائي والمثل الناري للمنافقين وللمؤمنين، وهذا الاستحضار على هذا الأمر وبهذا الترتيب، هذه قرينة قوية عندي كنت غافلاً عنها، فيجعلني أقول أن ابن القيم لما ألّف اختصر مادة الأمثال، كانت الأمثال ظاهرة بين يديه وكانت جاهزة عنده وينتقي منها ما يريد.

وبهذه المناسبة أذكركم بما قلت أن الإمام ابن القيم في كتابه إعلام الموقعين وَظّف الأمثال لأمرين اثنين لا ثالث لهما، والأمر الأول أنّ النصوص الشرعية مُعللة معقولة المعنى، فالمثل إنما جيء به للوضوح المشبه والمشبه به فهو معقول المعنى، ولا يوجد شيء في شريعة الله (طلاسم، أو ألغاز، أو رموز)، والشريعة لغة عربية لا تُفهم بلغة اليهود ولا بمنهج اليهود، منهج اليهود البحث عن حروف الجُمَّل، وكل حرف له رمز، وكل حرف له رقم، كل حرف له تاريخ، وتجمع كلمات، وتطلع أين الصالح وأين المفسد؟ ومتى تقوم الساعة؟ ومتى ...؟ هذا كله باطل، وهذا للأسف يطفو على السطح ويقوى في اوقات الفتن.

الذي يقرأ هرمجدون يعلم أن هرمجدون قام على طريقة يهود، هرمجدون قام على قواعد اليهود.

فشريعتنا من محاسنها وكلها محاسن، شريعتنا ظاهرة واضحة معقولة المعنى وليس في شريعتنا ألغاز، وإياكم أن تنظروا في كتب البوني وكتاب السيوطي، كتاب السيوطي المكذوب عليه (الرحمة في الطب والحكمة)،

إذا نظرتم هذا كله ألغاز، والكتاب كذب على السيوطي، والكتاب لا يستحق أن يسمى الرحمة في الطب والحكمة، بل يجب أن يُسمى (النقمة في الضلال والجهالة) هكذا ينبغي أن يسمى الكتاب.

الخلاصة :

الإمام ابن القيم وظف الأمثال لأمرين، الأمر الأول: أن الشريعة معقولة المعنى، والأمر الآخر: أن الشريعة مضطردة لا يوجد فيها شيء يخالف العقل، ولا يوجد فيها شيء يُخالف القياس، وإنما للشريعة أنوار؛ فالخفافيش وأصحاب العقول الضعيفة وأصحاب البصر الضعيف لا يقوى أن يفتح عينيه أمام أنوار الشريعة، والإنسان مكابر ولأنه مكابر فهذا الخفاش إن وجد في الشرع ما لا يمكن أن يفهمه توجه إلى الشريعة بالغمز واللمز والطعن، والشريعة في حقيقة أمرها أن لها أنوار، وأنوارها شديدة، لا يقدر على استيعابها إلا الموفق صاحب العقل وصاحب القلب؛ ولابد من الأمرين، أن يكون الذي يريد أن يفهم الشريعة قلبه واسع، يتدبر كلام الله، ويتمتع في هذا التدبر، ويجد لذة وراحة فيه، بخلاف المنافقين.

نأتي الأن لكلام الإمام ابن القيم على هذا المثل، وتظهر لنا أسرار مفصلة في هذا المثل .

بدأ المصدر يختلف عن المصدر الأول في المثل الناري .

الأن المثل المائي بدأ بأسطر قليلة في المثل الناري ثم جاء إلى المثل المائي وفصَّل فيه.

فقال: ((**ثُمَّ ضَرَبَ اللَّهُ سُبْحانَهُ وتَعالى لَهم مَثَلًا آخَرَ مائِيًّا فَقالَ سبحانه {أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ۚ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ(١٩) يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ ۖ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُم مَّشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا ۚ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٠)} البقرة، فَشَبَّهَ نَصِيبَهم مِمّا بَعَثَ اللَّهُ تَعالى بِهِ رَسُولَهُ ﷺ مِنَ النُّورِ والحَياةِ بِنَصِيبِ المُسْتَوْقِدِ لِلنّارِ الَّتِي طُفِئَتْ عَنْهُ أحْوَجَ ما كانَ إلَيْها و ذَهَبَ نُورُهُ وبَقِيَ في الظُّلُماتِ حائِرًا تائِهًا لا يَهْتَدِي سَبِيلًا ولا يَعْرِفُ طَرِيقًا**)).

الأن المثل الثاني.

المثل الأول تكلمنا عليه قلنا النار فيها إشراق وإحراق ولما يحتاج الإنسان إلى النور فذهب الله بماذا؟

بنورهم هذا الذي يضيء لهم الطريق، فذهب الله بأصل النور.

ذهب الله بأصل النور ماذا بقي؟

بقي ظلمات، بقي النار.

قال هذا المثل : ((**وبِنَصِيبِ أصْحابِ الصَّيِّبِ وهو المَطَرُ الَّذِي يَصُوبُ أيْ يَنْزِلُ مِن عُلُوٍّ إلى سُفْل فَشَبَّهَ الهُدى الَّذِي هَدى بِهِ عِبادَهُ بِالصَّيِّبِ، لِأنَّ القُلُوبَ تَحْيا بِهِ حَياةَ الأرْضِ بِالمَطَرِ**)).

هذا مثل للمنافقين فيه نصيب وللمؤمنين فيه نصيب.

ما هو نصيب المؤمن من هذا المثل؟

الصَّيِّب الخالص.

إن اعتراه شيء من سمات المنافقين يصيبه شيء من الظلمات والرعد و البرق.

ما هي سمات المنافقين؟

إذا حدث كذب و إذا وعد أخلف، و إذا أؤتُمن خان في رواية للبخاري خصله رابعة إذا خاصم فجر.

الحديث: "2327 حدثنا بشر بن خالد أخبرنا مُحَمَّد بن جعفر عن شعبة عن سليمان عن عبد الله بن مرة عن مسروق عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: أربع من كن فيه كان منافقا أو كانت فيه خصلة من أربعة كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا عاهد غدر وإذا خاصم فجر" البخاري

هذا نصيبه ، صاحب هذه الكاذب الخائن الفاجر الذي يفجر في الخصومة هذا في ظلمات و رعد و برق، لكن هذه الظلمات والرعد والبرق ليست هي الأصل عنده، نال نصيبه منها.

الله لا يحابي أحد ، الله يعامل الناس بأعمالهم، كل من زعم أن الله حاباه أيضا منهج يهود، يهود الله أخبرنا عنهم: ((وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ))، وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً)).

في مشايخ اليوم يرددون هذا الكلام؟

النبي ﷺ أخبرنا ، عن أبي سعيد ﷺ، أنَّ النبي ﷺ قال: "لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ قَبْلَكُم شِبْرًا بشبْر، وذراعًا بذراع، حتَّى لو سَلَكُوا جُحْر ضَبٍّ لَسَلَكْتُمُوهُ، قلنا: يا رسول الله؛ اليهودُ والنَّصارى؟ قال النَّبيُّ ﷺ : فَمَن" رواه الشيخان.

فيهجم على جميع الكبائر ويقول نحن أبناء الله وأحبائه الله يغفر لنا.

بل بعضهم يؤمن كما ذكر المقريزي في كتاب التجريد يؤمن أن العبادة لترويض النفس، فاذا راضت نفسه خلاص ممكن أن أصلي وأنا غير متوضئ.

لا يتقيدون بالشريعة و أصول الشريعة وإنما يتفلتون منها.فهذا هو النفاق .

فنصيب المؤمن من هذا المثل الصَّيِّب ، ماء حياة ، يعيش حياة طيبة، ونصيب المنافق في هذه الحياة كالمؤمن في الحياة، يعيش هذه الحياة، لكن عيشه في الحياة قلق، ولذا قال الله عز وجل ((وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ)).

ورأس المعرضين عن ذكر الله من هم؟

المنافقون.

الإعراض أقسام ودركات، أقصى و أسوء هذا الإعراض على الإطلاق هو إعراض المنافق.

((وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ، قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ، قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ)).

الله عادل، الله يعامل الناس بأعمالهم.

أنت يا عبدالله إذا أردت من الله عز وجل أن يحفظك أترك الشهوة من أجل الله، وإذا أردت أن الله عز وجل يحفظك ابتعد عن ذنوب الخلوات، فأشد أسباب الانتكاسات إنما هي ذنوب الخلوات، الأفعال التي تظهر عند الناس أنت لست مما يظهر عند الناس، أنت بعملك الذي يعلمه الله، فإذا أردت أن تكون محفوظا بحفظ الله أترك الشهوة المحرمة من أجل الله، ابتعد عن ذنوب الخلوات، تعرف على الله في الرخاء، إذا تعرفت على الله في الرخاء عرفك الله في الشدة، وعلى رأس الشدة النزع وقت النزع لما تطلع الروح، لا يوجد شدة مثل هذه.

والله وأنت هم لا تسأل عن أعمالك ولا تحاسب نفسك ولا تترك شيئا من أجل الله عز وجل فعلى نفسها تجني براقش أنت تجني على نفسك.

قال الإمام ابن القيم في الاجتماع: ((**وَنَصِيبَ الْمُنَافِقِينَ مِنْ هَذَا الْهُدَى بِنَصِيبِ مَنْ لَمْ يَحْصُلْ لَهُ مِنَ الصَّيِّبِ إِلَّا ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ وَلَا نَصِيبَ لَهُ فِيمَا وَرَاءَ ذَلِكَ مِمَّا هُوَ الْمَقْصُودُ بِالصَّيِّبِ مِنْ حَيَاةِ الْبِلَادِ وَالْعِبَادِ وَالشَّجَرِ وَالدَّوَابِّ، وَأَنَّ تِلْكَ الظُّلُمَاتِ الَّتِي فِيهِ، وَذَلِكَ الرَّعْدَ وَالْبَرْقَ مَقْصُودٌ لِغَيْرِهِ**)).

مقصود من أجل ماذا الرعد البرق؟

من أجل المطر.

فإنسان المطر ما يحصله ويحصل الظلمات والرعد والبرق ما نال شيئا.

قال: ((**وَهُوَ وَسِيلَةٌ إِلَى كَمَالِ الِانْتِفَاعِ بِذَلِكَ الصَّيِّبِ، فَالْجَاهِلُ لِفَرْطِ جَهْلِهِ يَقْتَصِرُ عَلَى الْإِحْسَاسِ بِمَا فِي الصَّيِّبِ مِنْ ظُلْمَةٍ وَرَعْدٍ وَبَرْقٍ وَلَوَازِمُ ذَلِكَ مِنْ بَرْدٍ شَدِيدٍ وَتَعَطُّلِ مُسَافِرٍ عَنْ سَفَرِهِ وَصَانِعٍ عَنْ صَنْعَتِهِ، وَلَا بَصِيرَةَ لَهُ تَنْفُذُ إِلَى مَا يَئُولُ إِلَيْهِ أَمْرُ ذَلِكَ الصَّيِّبِ مِنَ الْحَيَاةِ وَالنَّفْعِ الْعَامِّ**)).

في قلق هذا المنافق في قلق، فالمؤمن ينعم يتمتع بحياة، قال تعالى: يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡ)).

استجابة لله وللرسول ﷺ و حياة.

أبن امية يقول كنت أصلي فناداني رسول ﷺ في البخاري الحديث، ناداني قال فأتممت صلاتي فقلت لبيك يا رسول الله، قال لما لم تجبني؟

قال : يا رسول الله كنت في الصلاة.

فقال له النبي ﷺ أما قرأت قول الله ((ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡ))

الحديث: "عن أبو سعيد بن المعلى كُنْتُ أُصَلِّي، فَدَعانِي النبيُّ ﷺ فَلَمْ أُجِبْهُ، قُلتُ: يا رَسولَ اللَّهِ إنِّي كُنْتُ أُصَلِّي، قالَ: ألَمْ يَقُلِ اللَّهُ: اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ ولِلرَّسُولِ إذا دَعاكُمْ؟، ثُمَّ قالَ: ألا أُعَلِّمُكَ أعْظَمَ سُورَةٍ في القُرْآنِ قَبْلَ أنْ تَخْرُجَ مِنَ المَسْجِدِ، فأخَذَ بيَدِي، فَلَمّا أرَدْنا أنْ نَخْرُجَ، قُلتُ: يا رَسولَ اللَّهِ، إنَّكَ قُلْتَ: لَأُعَلِّمَنَّكَ أعْظَمَ سُورَةٍ مِنَ القُرْآنِ قالَ: الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العالَمِينَ، هي السَّبْعُ المَثانِي، والقُرْآنُ العَظِيمُ الذي أُوتِيتُهُ" البخاري.

قال أهل العلم الرسول ﷺ إذا نادى على رجل وهو يصلي صلاة فريضة فالواجب عليه أن يطيعه.

الأم إن نادت عليك وأنت في الفريضة لا تطعها، وإن نادت عليك وأنت في النافلة تطعها، لحديث جريج يقول كنت أصلي فنادتني أمي فقلت والرواية عند أحمد في المسند وإسنادها صحيح قلت صلاتي أمي، أمي صلاتي صلاتي أمي وقع في تشويش صلاتي أمي، قال: فقلت أبقى في الصلاة.

قال: فلما أتممت الصلاة ذهبت إليها.

فغضبت.

فقالت: اللهم لا تمته حتى تريه وجوه المومسات.

الله يلطف فينا يا رب ما نرى من وجوه العصاة، ووجوه المرَابين، ووجوه المومسات.

نراه أم لا نراه هذا ؟

هذه معصية، هذه معاصي معاصينا .

قال و كان يُضرب به المثل في عبادته جريح، والقصة هذه في صحيح مسلم.

قال فكانت هنالك بغي من بني إسرائيل يضرب بها المثل في الجمال، فقالت لعصابتها أغري لكم جريجا، فراودته عن نفسه فأبى، فكان حوالي صومعة جريج راع فمكنت الراعي من نفسها فحملت فسُئلت فقالت من جريج، جريج قابع في صومعته لا يرى أحدا، وكان الراهب إذا فعل فاحشة قُتل .

فجيء به ليقتل.

فقال ما الخبر؟

قالوا : ما الخبر وقد زنيت بفلانة .

فقال: فأين هي؟

فجيء بها، فوضع أصبعه على بطنها وقال للولد من أبوك؟

قال الجنين وهو في بطن أمه: أبوي فلان الراعي.

قالوا له: نبني لك صومعتك لبنة من ذهب ولبنة من فضة.

هذا استجابة دعاء أمه (اللهم لا تمته حتى تريه وجوه المومسات)، هذا استجابة الدعاء.

فما مات حتى رأى وجوه المومسات، هذه خطيرة للأم، الأم والأب لهم دعوة مستجابة والعاقل يحرص على رضا أبيه وأمه، إن لم يكن برا وحبا يكن ديانة ليكن ذلك ديانة.

يقول الإمام ابن القيم في الاجتماع: **(وهَكَذا شَأْنُ كُلِّ قاصِرِ النَّظَرِ ضَعِيفِ العَقْلِ)**.

أنظر إلى الكامل العقل ناقص العقل بعيد النظر ناقص النظر أنظر أنظر وانتبه وهذا المثل يفيدنا في ذلك .

يقول: **(وهَكَذا شَأْنُ كُلِّ قاصِرِ النَّظَرِ ضَعِيفِ العَقْلِ لا يُجاوِزُ نَظَرُهُ الأمْرَ المَكْرُوهَ الظّاهِرَ إلى ما وراءَهُ مِن كُلِّ مَحْبُوبٍ)**.

العاقل بعيد النظر لا ينظر الى المكروه ينظر الى ما وراء المكروه، ولذا لا يجزع ولا يخاف، لا ينظر إلى الظاهر ينظر إلى حقيقة الأمر

قال: **(وَهَذِهِ حالُ أكْثَرِ الخَلْقِ)**.

حال أكثر الخلق لا يجاوز نظرهم وينفذ إلى حقيقة الشيء.

يقول: **(وَهَذِهِ حالُ أكْثَرِ الخَلْقِ إلّا مَن صَحَّتْ بَصِيرَتُهُ، فَإذا رَأى ضَعِيفُ البَصِيرَةِ ما في الجِهادِ مِنَ التَّعَبِ والمَشاقِّ والتَّعَرُّضِ لِتَلافِ المُهْجَةِ والجِراحاتِ الشَّدِيدَةِ ومَلامَةِ اللُّوّامِ ومُعاداةِ مَن يَخافُ**

مُعاداتَهُ لَمْ يُقْدِمْ عَلَيْهِ لِأَنَّهُ لَمْ يَشْهَدْ ما يَئُولُ إِلَيْهِ مِنَ العَواقِبِ الحَمِيدَةِ والغاياتِ الَّتِي إِلَيْها تَسابَقَ المُتَسابِقُونَ وفِيها تَنافَسَ المُتَنافِسُونَ).

الكفار أصبحوا يفهمون الجهاد ويعرفون الجهاد ويوظفون الجهاد لضرب الإسلام، والأصل في الجهاد أنه قام لتكون كلمة الله هي العليا، اليهود لبسوا ودلسوا وكذبوا فصنعوا جبهات ساخنة في بلاد المسلمين ليبتعد الناس عن جهادهم، وأصبح الشباب المتحمس لا يعلم الجهاد إلا في هذه الجبهات الساخنة، وقد أقيمت لإشغال المسلمين عن جهاد اليهود، فصار الجهاد الآن في الفترة الأخيرة في العقد الأخير ضعف انتشار الإسلام لا سيما في أوربا وكندا وأمريكا، البلاد الأوروبية بسبب الجهاد المكذوب المصنوع واليهود ينعمون، واليهود يخططون لمدى بعيد، وأسأل الله أن يحفظ بلادنا وأن يحفظ إخواننا في فلسطين، الطمع الآن أن ينتقل المسلمون من فلسطين إلى هذه البلاد، وأسأل الله أن يحفظ المسلمين أينما كانوا.

فالمسلم بصيرته نافذة، ولا ينظر إلى ظواهر الأمور، ينظر إلى عواقبها.

قال: **(وَكَذَلِكَ مَنْ عَزَمَ عَلَى سَفَرِ الْحَجِّ إِلَى الْبَيْتِ الْحَرَامِ فَلَمْ " يَعْلَمْ " مِنْ سَفَرِهِ ذَلِكَ إِلَّا مَشَقَّةَ السَّفَرِ وَمُفَارَقَةَ الْأَهْلِ وَالْوَطَنِ وَمُقَاسَاةَ الشَّدَائِدِ وَفِرَاقَ الْمَأْلُوفَاتِ وَلَا يُجَاوِزُ نَظَرُهُ وَبَصِيرَتُهُ آخِرَ ذَلِكَ السَّفَرِ وَمَآلَهُ وَعَاقِبَتَهُ، فَإِنَّهُ لَا يَخْرُجُ إِلَيْهِ وَلَا يَعْزِمُ عَلَيْهِ).**

تقول أنا ذاهب لقيام ركن من أركان الإسلام وهو الحج، بصره لا ينظر لهذا ، لذا المنافق ثقيل عليه الصلاة المنافق ثقيل عليه الحج المنافق لا يجاهد، من سمات المنافق أنه لا يجاهد.

كل تكليف ثقيل فيه مشقة الشرع إنما هو يفعل الطاعة من أجل الناس.

فالعبادات عليه ثقيلة بخلاف المؤمن ، قلتها بإعلان مفارقة بين المؤمن وبين غير المؤمن.

المؤمن يلتمس النور، يلتمس الحياة مثل الصيب المطر أينما وقع نفع أينما وقع نفع ، المنافق مثل الرعد في ضوء لكن ضوء مكذوب ضوء ليس باق ضوء لا يشفي الغلة ولا يحقق المطلوب، ولكن البرق والظلمات والرعد أمر مخيف.

المسافر للحج يقع في شدائد لكن كل هذه الشدائد مرغوبة محبوبة إليه، النبي ﷺ قال السفر قطعة من العذاب.

قيل للإمام الحرمين الجويني قيل له في الدرس قال لماذا قال النبي ﷺ السفر قطعة من العذاب؟ فأجاب بديهة من غير تأمل ، قال: لأن فيه مفارقة الأهل والأحباب ، السفر قطعة من العذاب لأن فيه مفارقة الأهل والأحباب.

فالإنسان لما يفارق أهله وأحبابه يكون فيه شيء من عذاب لكن مع هذا هذا عذاب مستلذ، لأن صاحب البصيرة لا ينظر للعذاب ينظر إلى مآل هذا السفر.

ما مآل هذا السفر؟

الحج الذي يغفر الله عز وجل الذنوب ما تقدم وما تأخر من ذنب.

قال : **(وَحَالُ هَؤُلَاءِ حَالُ ضَعِيفِ الْبَصِيرَةِ وَالْإِيمَانِ الَّذِي يَرَى مَا فِي الْقُرْآنِ مِنَ الْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ وَالزَّوَاجِرِ وَالنَّوَاهِي وَالْأَوَامِرِ الشَّاقَّةِ عَلَى النُّفُوسِ الَّتِي تَفْطِمُهَا عَنْ رِضَاعِهَا مِنْ ثَدْيِ الْمَأْلُوفَاتِ وَالشَّهَوَاتِ)**.

هؤلاء مثل الطفل، الرضيع، أشد مرحلة على الانسان لما يفطم من الرضاعة، لكن هذا هؤلاء يرتعون في شهواتهم ويريدون من الدين ما يحقق شهواتهم، ثوبه قصير وقد يكون صاحب لحية، وعند الناس شيخ، ولكنه في حقيقة أمره عنده مظاهر إيمانية ضعيفة، وقد يكون في كذب والله لا يُغالب ، الله لا يمكن

لأحد أن يغالبه، والسر أن الله يعلم كل شيء، والله قادر على كل شيء، فلا يمكن لأحد أن يغالب الله عز وجل، ولابد أن يقطع في الضال وغير الصادق ،كما ذكر الله تعالى في هذا المثال.

يقول: (**وَالْفِطَامُ عَلَى الصَّبِيّ أَصْعَبُ شَيْءٍ وَأَشَقُّهُ وَالنَّاسُ كُلُّهُمْ صِبْيَانُ الْعُقُولِ إِلَّا مَنْ بَلَغَ مَبَالِغَ الرِّجَالِ الْعُقَلَاءِ الْأَلِبَّاءِ وَأَدْرَكَ الْحَقَّ عِلْمًا وَعَمَلًا وَمَعْرِفَةً فَهَذَا الَّذِي يَنْظُرُ إِلَى مَا وَرَاءِ الصَّيِّبِ وَمَا فِيهِ مِنَ الرَّعْدِ وَالْبَرْقِ وَالصَّوَاعِقِ وَيَعْلَمُ أَنَّهُ حَيَاةُ الْوُجُودِ**).

كتاب اجتماع الجيوش الإسلامية من أبدع كتب الإمام ابن القيم خصه بجمع الدساكر والعساكر، و الأدلة على علو الله تعالى على خلقه، وذكر الصحيح والحسن والضعيف والموضوع والمردود، ما ترك شيء فيه دليل على علو الله عز وجل على خلقه إلا وذكره، لأن أهم صفة من صفات الله تعالى عند أهل السنة علو الله تعالى على خلقه.

الإمام الذهبي له كتاب اسمه العلو، أبدع فيه وأكمل عمل ابن القيم ، ذكر فيه أقوال الأعيان في كل عصر ومصر على اختلاف مشاربهم في العلم كاللغة والنحو والبيان والتفسير والحديث والفقه والأصول، فذكر أقوال أعيان العلماء على اختلاف علومهم واختلاف أمصارهم وأعصارهم ، ذكر كلمات عنهم صرحوا فيها بأن الله تعالى علي على خلقه.

فالعلو أن الله عز وجل علي على خلقه هو نص القرآن وهو الكلام الذي أجمع عليه العلماء.

قال ابن القيم في كتابه هذا اجتماع الجيوش الإسلامية: (**وَقَدِ اشْتَمَلَ هَذَانِ الْمَثَلَانِ عَلَى حِكَمٍ عَظِيمَةٍ: مِنْهَا: أَنَّ الْمُسْتَضِيءَ بِالنَّارِ مُسْتَضِيءٌ بِنُورٍ مِنْ جِهَةِ غَيْرِهِ لَا مِنْ قِبَلِ نَفْسِهِ، فَإِذَا ذَهَبَتْ تِلْكَ النَّارُ بَقِيَ فِي ظُلْمَةٍ. وَهَكَذَا الْمُنَافِقُ لَمَّا أَقَرَّ بِلِسَانِهِ مِنْ غَيْرِ اعْتِقَادٍ وَمَحَبَّةٍ بِقَلْبِهِ وَتَصْدِيقٍ جَازِمٍ كَانَ مَا مَعَهُ مِنَ النُّورِ كَالْمُسْتَعَارِ**)).

المؤمن نوره أين؟

المؤمن نوره من أين ينبع؟

من إيمانه ، –من عمله–.

المنافق نوره من أين؟

من جهة غيره.

المنافقون عند أبان التنزيل لما نزل نزلت هذه الآية المنافقون أين يعيشون؟

مع رسول الله ومع الصحابة يعيشون في أنوار يعيشون في أنوار لكن هذه الأنوار ليست نابعة منهم ، إنما هي نابعة من غيرهم، هذا فرق مهم بين المؤمن والمنافق ، المؤمن نوره نابع منه، نابع من عمله ، والمنافق يعيش بين المؤمنين، لذا قلت لكم كل آية في القرآن فيها ذكر النفاق فهي آية مدنية وليست مكية ، لأن النفاق لم يعرف إلا في المدينة، فترة مكة فترة امتحان وما في نفاق مع الامتحان ، مع الابتلاء والامتحان لا يوجد نفاق ، النفاق يكون بعد أن تستتب الأمور وتظهر الأشياء.

قال: **وَقَدِ اشْتَمَلَ هَذَانِ الْمَثَلَانِ عَلَى حِكَمٍ عَظِيمَةٍ: مِنْهَا: أَنَّ الْمُسْتَضِيءَ بِالنَّارِ مُسْتَضِيءٌ بِنُورٍ مِنْ جِهَةِ غَيْرِهِ لَا مِنْ قِبَلِ نَفْسِهِ، فَإِذَا ذَهَبَتْ تِلْكَ النَّارُ بَقِيَ فِي ظُلْمَةٍ. وَهَكَذَا الْمُنَافِقُ لَمَّا أَقَرَّ بِلِسَانِهِ مِنْ غَيْرِ اعْتِقَادٍ وَمَحَبَّةٍ بِقَلْبِهِ وَتَصْدِيقٍ جَازِمٍ كَانَ مَا مَعَهُ مِنَ النُّورِ كَالْمُسْتَعَارِ.**

هذا مثل لبيان أصل مهم، أن الأحكام الدنيوية غير الأحكام الآخروية.

كيف نعامل المنافق؟

معاملة المسلم، نحن قوم نحكم بالظاهر، والله يتولى السرائر، لكن كيف يعامله الله؟

إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار.

الآيات التي معنا تضمنت كفرهم ، اسمع الآية دقق معي: ((أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين)).

من أسوأ دركاً المنافق ولا الكافر؟

المنافق أسوأ.

فلو قال والله محيط بالمنافقين فلعل البعض يتخيل أن الله ليس محيط بالكافرين، فلما كان النفاق المذكور كفراً فالله قال والله محيط بما هو الأدنى، حتى يشمل الكافر والمنافق ، لو قال والله محيط بالمنافقين فالبعض قد يتوهم أن الله ليس محيط بالكافر، فلما قال والله محيط بالكافرين دل ذلك على أن الله محيط بالكافر وما هو أسوأ منه وهو المنافق، فهذه الآية منطوق صريح في أن هذا المثل إنما يراد به النفاق الأكبر ، والمراد بالنفاق الأكبر الذي خرج من الملة وليس المنافق النفاق في الصفات ، بعض الناس يكذب هذا فيه صفة نفاق ، لكن هذا ليس خارج من الملة ، إن وعد يخلف ، إن خاصم فجر.

ومنها المثل الأول المستضيء بالنار مستضيء بنور غيره مثل الفائدة الثانية، ضياء النار يحتاج إلى مادة تحمله، عندك نار تحتاج مادة تحمل النار، يكون عندك حطب عندك خشب عندك أي شيء يحمل النار .

قال : **وَمِنْهَا: (أَنَّ ضِيَاءَ النَّارِ يَحْتَاجُ فِي دَوَامِهِ إِلَى مَادَّةٍ تَحْمِلُهُ)**.

ما هي المادة التي تحمل ضياء الإيمان؟

من غير مادة تحمل ضياء الإيمان لا يقع النور.

ما هي المادة التي تحمل ضياء الإيمان؟

العلم النافع والعمل الصالح.

ما في علم نافع ولا عمل صالح نار هامدة من غير مادة تحمله.

لذا قلت لكم الله لا يحابي أحداً.

كيف تحصل على الإيمان؟

علم نافع وعمل صالح ، الخير كله في الشرع على كثرته وتعدد شرائعه مجملاً بكلمتين علم نافع وعمل صالح ، والشر كله على تشعبه وكثرة أنواعه مجمل بكلمتين لا ثالث لهما، الشبهة والشهوة المحرمة، كل الشر إذاً أينما قرأتم في القرآن المرض فيراد بالمرض شهوة وشبهة.

قال تعالى: ((يا نساء النبي لستن كأحد من النساء إن اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض)).

ما معنى فيطمع الذي في قلبه مرض؟

الشهوة المحرمة.

لذا قال : ((**أَنَّ ضِيَاءَ النَّارِ يَحْتَاجُ فِي دَوَامِهِ إِلَى مَادَّةٍ تَحْمِلُهُ وَتِلْكَ الْمَادَّةُ لِلضِّيَاءِ بِمَنْزِلَةِ غِذَاءِ الْحَيَوَانِ**)).

حيوان ما يأكل ما مصيره؟

يموت.

المادة التي تحمل ضياء النار.

قال: ((**فَكَذَلِكَ نُورُ الْإِيمَانِ يَحْتَاجُ إِلَى مَادَّةٍ مِنَ الْعِلْمِ النَّافِعِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ يَقُومُ بِهَا وَيَدُومُ بِدَوَامِهَا فَإِذَا انْقَطَعَتْ مَادَّةُ الْإِيمَانِ طُفِيءَ كَمَا تُطْفَأُ النَّارُ بِفَرَاغِ مَادَّتِهَا**)).

كالحيوان الذي لا يأكل ما أكل ما أكل يضعف يضعف يضعف يموت، فالإيمان حتى تحافظ عليه يجب أن لا ينقطع لديك، أهل السنة والجماعة يقولون الإيمان يزيد وينقص.

كيف يزيد الإيمان؟

بزيادة العلم والعمل.

وكيف ينقص الإيمان؟

بنقصان العلم والعمل.

فالمادة التي تحمل الإيمان إنما هي العلم النافع والعمل الصالح.

قال: ((**وَمِنْهَا: أَنَّ الظُّلْمَةَ نَوْعَانِ: ظُلْمَةٌ مُسْتَمِرَّةٌ لَمْ يَتَقَدَّمْهَا نُورٌ، وَظُلْمَةٌ حَادِثَةٌ بَعْدَ النُّورِ وَهِيَ أَشَدُّ الظُّلْمَتَيْنِ وَأَشَقُّهُمَا عَلَى مَنْ كَانَتْ حَظَّهُ، وَظُلْمَةُ الْمُنَافِقِ ظُلْمَةٌ بَعْدَ إِضَاءَةٍ فَمُثِّلَتْ حَالُهُ بِحَالِ الْمُسْتَوْقِدِ لِلنَّارِ الَّذِي حَصَلَ فِي الظُّلْمَةِ بَعْدَ الضَّوْءِ، وَأَمَّا الْكَافِرُ فَهُوَ فِي الظُّلُمَاتِ لَمْ يَخْرُجْ مِنْهَا قَطُّ**)).

لكن الإضاءة ممن؟

من البيئة التي عاش فيها وليست هي نابعة منه ، ولذا كان عذابه أشد ممن هو في ظلمة دائمة ويأخذ الإضاءة من غيره.

وَمِنْهَا: ((**أَنَّ الظُّلْمَةَ نَوْعَانِ: ظُلْمَةٌ مُسْتَمِرَّةٌ لَمْ يَتَقَدَّمْهَا نُورٌ، وَظُلْمَةٌ حَادِثَةٌ بَعْدَ النُّورِ وَهِيَ أَشَدُّ الظُّلْمَتَيْنِ وَأَشَقُّهُمَا عَلَى مَنْ كَانَتْ حَظَّهُ، وَظُلْمَةُ الْمُنَافِقِ ظُلْمَةٌ بَعْدَ إِضَاءَةٍ فَمُثِّلَتْ حَالُهُ بِحَالِ الْمُسْتَوْقِدِ لِلنَّارِ الَّذِي حَصَلَ فِي الظُّلْمَةِ بَعْدَ الضَّوْءِ، وَأَمَّا الْكَافِرُ فَهُوَ فِي الظُّلُمَاتِ لَمْ يَخْرُجْ مِنْهَا قَطُّ**)).

قال: ((**وَمِنْهَا :أَنَّ فِي هَذَا الْمَثَلِ إِيذَانًا وَتَنْبِيهًا عَلَى حَالِهِمْ فِي الْآخِرَةِ**)).

المنافق في الآخرة كيف يحشر؟

المنافق في الدنيا كما قلت لكم مخادع لله، لما يبعث يوم القيامة يكون مع المؤمنين يخادعون الله

قال : ((**وَأَنَّهُمْ يُعْطَوْنَ نُورًا ظَاهِرًا كَمَا كَانَ نُورُهُمْ فِي الدُّنْيَا ظَاهِرًا ثُمَّ يُطْفَأُ ذَلِكَ النُّورُ أَحْوَجَ مَا يَكُونُونَ إِلَيْهِ إِذْ لَمْ تَكُنْ لَهُ مَادَّةٌ بَاقِيَةٌ تَحْمِلُهُ**)).

ما هي المادة الباقية؟

العلم والعمل.

قال: ((**وَيَبْقَوْنَ عَلَى الْجِسْرِ فِي الظُّلْمَةِ لَا يَسْتَطِيعُونَ الْعُبُورَ**)).

أين العبور يوم القيامة؟

على الجسر حتى يدخلون الجنة.

قال: ((**فَإِنَّهُ لَا يُمْكِنُ أَحَدٌ عُبُورَهُ إِلَّا بِنُورٍ ثَابِتٍ يَصْحَبُهُ حَتَّى يَقْطَعَ الْجِسْرَ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لِذَلِكَ النُّورِ مَادَّةٌ مِنَ الْعِلْمِ النَّافِعِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ وَإِلَّا ذَهَبَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ أَحْوَجَ مَا كَانَ إِلَيْهِ صَاحِبُهُ**)).

الله لما ذكر في سورة مُحَمَّد الجنة ماذا قال؟

قال: (وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ) سورة مُحَمَّد (6)

لما يُبعث الإنسان المؤمن في الجنة يعرف ماذا يأتي أمامه يعرف كل شيء، أما هذا لا يعرف شيء، هذا منافق وليس معه مادة للضوء ، فالضوء ينقطع.

قال: ((**فَطَابَقَ مَثَلَهُمْ فِي الدُّنْيَا بِحَالَتِهِمُ الَّتِي هُمْ عَلَيْهَا فِي هَذِهِ الدَّارِ وَبِحَالِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَمَا تُقَسَّمُ الْأَنْوَارُ دُونَ الْجِسْرِ وَيَثْبُتُ نُورُ الْمُؤْمِنِينَ وَيُطْفَأُ نُورُ الْمُنَافِقِينَ**)).

يوم القيامة لما يُقسّم اللهُ النور هم يُعطونه فِي الظاهر ولكن ليس له مادة تحمله ولذا سرعان ما يزول.

يقول: ((**وَمِنْ هَاهُنَا تَعْلَمُ السِّرَّ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى** : ((**ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ**)) **وَلَمْ يَقُلْ: أَذْهَبَ اللَّهُ نُورَهُمْ، فَإِنْ أَرَدْتَ زِيَادَةَ بَيَانٍ وَإِيضَاحٍ فَتَأَمَّلْ مَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ مِنْ حَدِيثِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا**)).

يعني هو وضّح وأغنى وكفى بيان هذا المثل ومع هذا يقول لك: فإن أردت زيادة بيان وإيضاح فتأمل ما رواه مسلم في صحيحه. هذا الحديث في صحيح مسلم شرحناه في كتاب الإيمان وطوّلنا فيه وهو من حديث جابر بن عبد الله في صحيح الإمام مسلم برقم مئة وواحد وتسعين.

قال: ((**وقد سُئل عن الورود**)).

ورود الأمم النار، قال تعالى:{وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتماً مقضيا}.

ورود المؤمن غير ورود الكافر.

كلمة ورَد قَرُبَ. {ولما ورد ماء مَدين} يعني موسى عليه السلام.

ما يعني ورد ماء مدين؟

قَرُب.

المؤمن يمر على الجسر ويَقرُب منها ولا تمسه ويقطع الجسر على حسب عمله، وأسواءهم من يحبو، يكاد يجلس يحبو ومنهم كالبرق ومنهم كالضوء يسيرون.

سُئل جابر بن عبد الله والحديث رُوي مرفوعاً ورُوي موقوفاً، موقوفاً على جابر ومرفوع عن النبي صلى الله عليه وسلم، وكيف ما كان فإن كان موقوفاً فهذا مما لا يُعرف بالعقل فله حكم الرفع للنبي صلى الله عليه وسلم. ومسلم أورده في صحيحه مرفوعاً للنبي ﷺ.

قال: ((**وَقَدْ سُئِلَ عَنِ الْوُرُودِ فَقَالَ: نَجِيءُ نَحْنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ " عَلَى تَلٍّ " فَوْقَ النَّاسِ**)).

في رواية: نجيء يوم القيامة على كوم، أي مرتفعين عن الناس، في رواية عن ابن أبي خيثم: يُحشر الناس يوم القيامة على تل وأمتي على تل. الأمة على تل يكونون في مكان مرتفع.

نحن أمة مُحَمَّد في الظاهر والباطن. الظاهر الصادقون، والباطن المنافقون.

قَالَ: ((**فَتُدْعَى الْأُمَمُ بِأَوْثَانِهَا وَمَا كَانَتْ تَعْبُدُ الْأَوَّلَ فَالْأَوَّلَ، ثُمَّ يَأْتِينَا رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى بَعْدَ ذَلِكَ**)).

الله يأتي كما أخبر في القرآن يجيء، وهذه صفة من صفات الله عز وجل الاختيارية.

صفات الله قسمين: صفات دائمة وصفات اختيارية والصفة الاختيارية صفة لله قائمة على مشيئته، فإن شاء سبحانه وتعالى يفعل ما يريد.

قال: ((فَيَقُولُ :مَنْ تَنْتَظِرُونَ؟ فَيَقُولُونَ نَنْتَظِرُ رَبَّنَا.))

من أخبرهم أن ينتظروا ربنا؟.

نبينا ﷺ أخبرنا.

احفظوا هذا، إن شاء الله نكون هناك ونُسأل ونقول كما علمنا، لذا المعرفة التفصيلية لليوم الآخر ترقق القلب وتُنور الإنسان.

قال: ((**فَيَقُولُ** :**أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ** :**حَتَّى نَنْظُرَ إِلَيْكَ، فَيَتَجَلَّى لَهُمْ يَضْحَكُ**)).

نثبت الضحك لله، لكن كيف يضحك؟

الله عز وجل أعلم كما شاء سبحانه وتعالى.

قَالَ :**(فَيَنْطَلِقُ بِهِمْ وَيَتْبَعُونَهُ وَيُعْطَى كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ مُنَافِقٍ أَوْ مُؤْمِنٍ))**

لذا قلنا الأمة المراد بها الأمة التي أظهرت الإيمان ظاهراً وباطناً.

قال: ((**ثُمَّ يَتَّبِعُونَهُ وَعَلَى جِسْرِ جَهَنَّمَ كَلَالِيبَ وَحَسَكٍ))**

كلاليب: جمع كلّوب أو كِلّاب وهو المهماز، عصى أو حديد فيه عكفة، إذا سقط تستطيع أن تنقذ الذي يسقط.

حسك: (شوكة) وهي جمع حسكة.

قال: ((**تَأْخُذُ مَنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى ثُمَّ يُطْفَأُ نُورُ الْمُنَافِقِينَ ثُمَّ يَنْجُو الْمُؤْمِنُونَ**))
هنا الشاهد ثم يُطفئ الله تعالى نور المنافقين ثم ينجو المؤمنون .

قال: ((**فَيَنْجُو أَوَّلُ زُمْرَةٍ وُجُوهُهُمْ كَالْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ سَبْعُونَ أَلْفًا لَا يُحَاسَبُونَ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ كَأَضْوَاءِ نَجْمٍ فِي السَّمَاءِ، ثُمَّ كَذَلِكَ ثُمَّ تُحَلُّ الشَّفَاعَةُ وَيُشَفَّعُونَ حَتَّى يَخْرُجَ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا**

اللَّهُ، وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْخَيْرِ مَا يَزِنُ شَعِيرَةً فَيُجْعَلُونَ بِفَنَاءِ الْجَنَّةِ وَيَجْعَلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ يَرُشُّونَ عَلَيْهِمُ الْمَاءَ» . وَذَكَرَ بَاقِي الْحَدِيثِ)).

فَتَأَمَّلْ قَوْلَهُ: «فَيَنْطَلِقُ فَيَتْبَعُونَهُ وَيُعْطَى كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ نُورًا الْمُنَافِقِ وَالْمُؤْمِنِ» ، ثُمَّ تَأَمَّلْ قَوْلَهُ تَعَالَى: {ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ} [البقرة: ١٧] الْآيَةَ. وَتَأَمَّلْ حَالَهُمْ إِذَا أُطْفِئَتْ أَنْوَارُهُمْ فَبَقُوا فِي الظُّلْمَةِ وَقَدْ ذَهَبَ الْمُؤْمِنُونَ فِي نُورِ إِيمَانِهِمْ يَتَّبِعُونَ رَبَّهُمْ عَزَّ وَجَلَّ)).

نور الإيمان نور نافع في الدور الثلاثة في (الحياة والبرزخ والآخرة)، نور الإيمان له أثر على صاحبه ، فلا يستثقل أوامر الله ويعينه على الاستقامة على أمر الله، والعجب أن الله يريد منك أن تتوجه إليه بالقليل، إن توجهت إليه بالقليل فالله شكور فيُعطيك أكثر مما فعلت، اصدُق الله عز وجل وأخلص في عبادتك لترى ثمرة ما كانت في الحسبان، (إن أتاني عبدي مشياً أتيته هرولة)، الله غفور شكور، والشكور تؤدي شيء قليل وتأخذ شيء كبير، هذا الشكور، فالله شكور، فإن جاهدت نفسك فقمت مرة وسقطت أخرى ابقَ على جهادك وأحيي التوبة وابقَ على استقامة، وكلما أخذ منك الشيطان شيئاً ارجع إلى الأصل، واجهد أن تبقى في نور وابتعد عن الظلمات واجعل ما أخذه الشيطان منك ظلمات عارضة، وعلامة ذلك أن تكرهها، فالمؤمن إذا كره ما أسخط الله فهو على خير.

قال: ((**و مِنْهَا :أَنَّ الْمَثَلَ الْأَوَّلَ مُتَضَمِّنٌ لِحُصُولِ الظُّلْمَةِ الَّتِي هِيَ الضَّلَالُ وَالْحَيْرَةُ الَّتِي ضِدُّهَا الْهُدَى، وَالْمَثَلَ الثَّانِي :مُتَضَمِّنٌ لِحُصُولِ الْخَوْفِ الَّذِي ضِدُّهُ الْأَمْنُ، فَلَا هُدَى وَلَا أَمْنَ :((الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ)) الأنعام: ٨٢)).**

ما أجمل الآية وما يقابلها.

المنافق عنده ضلال وعنده خوف ، المؤمن عنده هدى ، وعنده أمن.

الضلال والخوف للمنافق ، والهدى والأمن للمؤمن ، أين؟

الجواب:

في الدنيا والبرزخ والآخرة ، ليس فقط في الآخرة ، المؤمن آمِن ، ما يخاف من شيء ، ما عنده شيء.

ذاك يخاف أن يكشف ، منافق ، يخاف أن يكشف.

قال: ((**وَقَدْ فُسِّرَتْ تِلْكَ الْإِضَاءَةُ وَذَهَابُ النُّورِ بِأَنَّهَا فِي الدُّنْيَا وَفُسِّرَتْ بِالْبَرْزَخِ، وَفُسِّرَتْ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَالصَّوَابُ أَنَّ ذَلِكَ شَأْنُهُمْ فِي الدُّورِ الثَّلَاثَةِ**)).

وهذا المعني بقول الله عز وجل :

{إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (13) وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ (14)} [الانفطار : 13-14]

الأبرار في نعيم (في الدنيا والبرزخ والآخرة) ، والفجار في جحيم (في الدنيا والبرزخ والآخرة).

قال: **وَالصَّوَابُ أَنَّ ذَلِكَ شَأْنُهُمْ فِي الدُّورِ الثَّلَاثَةِ فَإِنَّهُمْ لَمَّا كَانُوا كَذَلِكَ فِي الدُّنْيَا جُوزُوا فِي الْبَرْزَخِ وَفِي الْقِيَامَةِ بِمِثْلِ حَالِهِمْ {جَزَاءً وِفَاقًا} [النبأ: ٢٦] ، {وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ} [فصلت: ٤٦] فَإِنَّ الْمَعَادَ يَعُودُ عَلَى الْعَبْدِ فِيهِ مَا كَانَ حَاصِلًا لَهُ فِي الدُّنْيَا وَلِهَذَا يُسَمَّى يَوْمَ الْجَزَاءِ: {وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا} [الإسراء: ٧٢] ، {وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى. .} [مريم: ٧٦] الْآيَةَ. وَمَنْ كَانَ مُسْتَوْحِشًا مَعَ اللَّهِ بِمَعْصِيَتِهِ إِيَّاهُ فِي هَذِهِ الدَّارِ**).

صاحب المعصية في وحشة ، وصاحب الإيمان في أُنس، والله لو أن فاعل المعاصي استحضَر الأُنس الذي يجده مع الله ، وانشراح الصدر ؛ لكفاه ذلك زاجراً للبعد عن معصيته سبحانه.

قال: **((وَمَنْ كَانَ مُسْتَوْحِشًا مَعَ اللَّهِ بِمَعْصِيَتِهِ إِيَّاهُ فِي هَذِهِ الدَّارِ فَوَحْشَتُهُ مَعَهُ فِي الْبَرْزَخِ يَوْمَ الْمَعَادِ أَعْظَمُ وَأَشَدُّ، وَمَنْ قَرَّتْ عَيْنُهُ بِهِ فِي " هَذِهِ الْحَيَاةِ " الدُّنْيَا قَرَّتْ عَيْنُهُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَعِنْدَ الْمَوْتِ وَيَوْمَ الْبَعْثِ))**.

من أحب لقاء الله ؛ أحب الله لقاءه ، أسأل الله أن يجعلنا من هذا الصنف.

لذا قال أهل العلم :

البكاء على قسمين:

القسم الأول –وهو الأدنى– : أن تبكي خوفًا منه، تبكي خوفاً من الله بسبب معاصي فعلتها ، تستحضر أن الله يبعثك ويقررك ، ويسألك ، فتستحضر عظمة هذا المشهد ، وهذا الموقف ، فتبكي.

القسم الثاني: أن تبكي شوقاً إلى الله —وهو أعظم من الأول–.

تشتاق إلى الله ، تشتاق أن تلقاه ، فبكاء الشوق أرفع منزلة من بكاء الخوف.

مع أن بكاء الخوف –ذكَر الله ففاضت عيناه– ، هذا خوف الظاهر في الحديث ، لكن بكاء الشوق أفضل.

حدثني بعض الناس أن رجل صالح كان مدرساً في الحرم المكي ، وله قرابة خمسين سنة وهو يدرس في الحرم ، وما ينقطع ، وما خرج من مكة ، حياته كلها أنوار.

يقول لولده : يا بني إذا صابني كورونا هذا ؛ لا تعالجوني ، فإني مشتاق إلى الله.

نعم ، أنا مشتاق إلى الله ، فإذا صابني هذا الداء لا تعالجني.

انظر إلى المؤمن كيف يلقى المرض!

يلقاه بانشراح صدر ، ليس حباً في المرض لذاته ، إنما هو يحب لقاء الله سبحانه وتعالى.

قال: ((**وَمَنْ كَانَ مُسْتَوْحِشًا مَعَ اللَّهِ بِمَعْصِيَتِهِ إِيَّاهُ فِي هَذِهِ الدَّارِ فَوَحْشَتُهُ مَعَهُ فِي الْبَرْزَخِ يَوْمَ الْمَعَادِ أَعْظَمُ وَأَشَدُّ، وَمَنْ قَرَّتْ عَيْنُهُ بِهِ فِي " هَذِهِ الْحَيَاةِ " الدُّنْيَا قَرَّتْ عَيْنُهُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَعِنْدَ الْمَوْتِ وَيَوْمَ الْبَعْثِ فَيَمُوتُ الْعَبْدُ عَلَى مَا عَاشَ عَلَيْهِ، وَيُبْعَثُ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ، وَيَعُودُ عَلَيْهِ عَمَلُهُ بِعَيْنِهِ فَيَنْعَمُ بِهِ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا. فَيُورِثُهُ مِنَ الْفَرَحِ وَالسُّرُورِ وَاللَّذَّةِ وَالْبَهْجَةِ " وَقُرَّةِ الْعَيْنِ " وَالنَّعِيمِ وَقُوَّةِ الْقَلْبِ وَاسْتِبْشَارِهِ وَحَيَاتِهِ وَانْشِرَاحِهِ وَاغْتِبَاطِهِ مَا هُوَ مِنْ أَفْضَلِ النَّعِيمِ وَأَجَلِّهِ وَأَطْيَبِهِ وَأَلَذِّهِ وَهَلِ النَّعِيمُ إِلَّا طِيبُ النَّفْسِ وَفَرَحُ الْقَلْبِ وَسُرُورُهُ وَانْشِرَاحُهُ وَاسْتِبْشَارُهُ، هَذَا وَيَنْشَأُ لَهُ مِنْ أَعْمَالِهِ مَا تَشْتَهِيهِ نَفْسُهُ وَتَلَذُّهُ عَيْنُهُ مِنْ سَائِرِ الْمُشْتَهَيَاتِ**)).

الله يقول عن المؤمن :{.. وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ ..} [الزخرف : 71]

هذا هو مآل المؤمن ، ومآل العمل.

انتبه ، ونختم بهذا الباب ، حتى أتفقد أنا عملي ، وأنتم تتفقدون أعمالكم ، وهذا كلمات قليلات ، وهي أصل أصيل في حال الإنسان ومآله عند الله وتعالى-.

قال: ((**وَيَنْشَأُ لَهُ مِنْ أَعْمَالِهِ مَا تَشْتَهِيهِ نَفْسُهُ وَتَلَذُّهُ عَيْنُهُ مِنْ سَائِرِ الْمُشْتَهَيَاتِ الَّتِي تَشْتَهِيهَا الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّهَا الْأَعْيُنُ وَيَكُونُ تَنَوُّعُ تِلْكَ الْمُشْتَهَيَاتِ وَكَمَالُهَا وَبُلُوغُهَا مَرْتَبَةَ الْحُسْنِ وَالْمُوَافِقَةِ بِحَسَبِ كَمَالِ عَمَلِهِ وَمُتَابَعَتِهِ فِيهِ وَإِخْلَاصِهِ وَبُلُوغِهِ مَرْتَبَةَ الْإِحْسَانِ فِيهِ، وَبِحَسَبِ تَنَوُّعِهِ، فَمَنْ تَنَوَّعَتْ أَعْمَالُهُ الْمُرْضِيَةُ لِلَّهِ الْمَحْبُوبَةُ لَهُ فِي هَذِهِ الدَّارِ تَنَوَّعَتِ الْأَقْسَامُ الَّتِي يَتَلَذَّذُ بِهَا فِي تِلْكَ الدَّارِ وَتَكَثَّرَتْ لَهُ بِحَسَبِ تَكَثُّرِ أَعْمَالِهِ هُنَا وَكَانَ مَزِيدُهُ مِنْ تَنَوُّعِهَا وَالِابْتِهَاجِ بِهَا وَالِالْتِذَاذِ بِنَيْلِهَا هُنَاكَ عَلَى حَسَبِ مَزِيدِهِ مِنَ الْأَعْمَالِ وَتَنَوُّعِهِ فِيهَا فِي هَذِهِ الدَّارِ وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ لِكُلِّ عَمَلٍ مِنَ الْأَعْمَالِ الْمَحْبُوبَةِ لَهُ وَالْمَسْخُوطَةِ أَثَرًا وَجَزَاءً وَلَذَّةً وَأَلَمًا يَخُصُّهُ لَا يُشْبِهُ أَثَرُ الْآخَرِ وَجَزَاءُهُ. وَلِهَذَا**

تَنَوَّعَتْ لَذَّاتُ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَآلَامُ أَهْلِ النَّارِ، وَتَنَوَّعَ مَا فِيهِمَا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَالْعُقُوبَاتِ فَلَيْسَتْ لَذَّةُ مَنْ ضَرَبَ فِي كُلِّ مَرْضَاةِ اللَّهِ بِسَهْمٍ وَأَخَذَ مِنْهَا بِنَصِيبٍ كَلَذَّةِ مَنْ أَنْمَى سَهْمَهُ وَنَصِيبَهُ فِي نَوْعٍ وَاحِدٍ مِنْهَا وَلَا أَلَمُ مَنْ ضَرَبَ فِي كُلِّ مَسْخُوطٍ لِلَّهِ بِنَصِيبٍ وَعُقُوبَتُهُ كَأَلَمِ مَنْ ضَرَبَ بِسَهْمٍ وَاحِدٍ فِي مَسَاخِطِهِ.))

قال: ((**وَهَذَا الْبَابُ يَفْتَحُ لَكَ أَبْوَابًا عَظِيمَةً مِنْ فَهْمِ الْمَعَادِ وَتَفَاوُتِ النَّاسِ فِي أَحْوَالِهِ وَمَا يَجْرِي فِيهِ مِنَ الْأُمُورِ الْمُتَنَوِّعَةِ**)).

هذا الباب يجعلك تَفهم ، وتعقل أيضاً شيئاً من أحوال الآخرة ، وليست فقط من أحوال الدنيا.

قلنا الشريعة معقولة المعنى ، ومعقولة الجزاء.

الجزاء إذا ضربت بسهم في كل عمل فيه طاعة لله عز وجل ؛ ازدادت لَذتك وشهوتك ، وإن فعلت شيئاً ؛ فجزاك الله ورزقك الأنسَ واللذة بمقدار ما صنعت ، أو جزاءَ ما صنعت ، -لا أقول بمقدار ، فالله شكور- ، الله يعطيك وزيادة ، لكن متعتك على حسب عملك.

لذا السعيد من ركب كل عمل فيه خير ، وما عود نفسه على لون أو ضَربٍ واحد من هذه الضروب.

قال ابن القيم: ((**فسبحان من جعل كلامه لأدواء الصدور شافيا. وإلى الإيمان وحقائقه مناديا، وإلى الحياة الأبدية والنعيم المقيم داعيا، وإلى طريق الرشاد هاديا.**

لقد أسمع منادي الإيمان لو صادف آذانا واعية، وشفت مواعظ القرآن لو وافقت قلوبا خالية. ولكن عصفت على القلوب أهوية الشبهات والشهوات فأطفأت مصابيحها. وتمكنت منها أيدي الغفلة والجهالة فأغلقت أبواب رشدها وأضاعت مفاتيحها. وران عليها كسبها فلم ينفع فيها الكلام، وسكرت بشهوات الغي وشبهات الباطل، فلم تصغ بعد إلى الملام.

ووعظت بمواعظ أنكى فيها من الأسنة والسهام، ولكن ماتت في بحر الجهل والغفلة، وأسر الهوى والشهوة. وما لجرح بميت إيلام.))

جرح الميت مهما طعنت ومهما ضربت لا يتألم.

فبعض ناس يعيش في ظلمات ، ويعيش في جهل ، ويعيش في غفلة ، مع أن الله عز وجل وعظنا وبين لنا حال المؤمن ، وحال المنافق .

لماذا المنافق هذا حاله في المثل المائي والمثل الناري؟

ما هو السِّر؟

لأنه ما عَرف الله .

كيف نعرف الله؟

نعرف الله بفطرنا ، ومعرفتنا لربنا معرفة شرعية ، وكلما ازدادت معرفتنا بالله ؛ ازداد خوفنا منه ، وازداد تعظيمنا لأوامره ، ومعرفتنا لربنا أن نعرفه بأسمائه وصفاته.

فالمنافق لا يَعرف الله ، لا بأسمائه ولا صفاته ، المنافق مُمثِّل ، يريد أن يعصم دمه ، وأن يعيش لينكح يأكل ويشرب ، ولا أُنس عنده بربه وخالقِه ، بسبب أنه ما عرف الله عز وجل ، ولذا كل مَن لَم يعرف الله بأسمائه وصفاته ؛ له نصيب هذا الحال.

هذا حال من؟

حال الذين لا يؤمنون بأسماء الله وصفاته ، ولذا ذَكر الإمام ابن القيم أثر معرفة الله بأسمائه وصفاته ، عَقِبَ هذا المثل المائي.

فذَكَر مخانيث الجهمية والمبتدعة ، الذين لا يؤمنون بأسماء الله تعالى وصفاته ، وله مبحث مطول ذكر فيه في غير هذا الكتاب في غير هذه الفَصلة من الكتاب ، ذكر فيه علو الله تعالى على خلقه في ثمانية عشر دليلاً.

أقول لكم بإيجاز:

الناس في موضوع الأسماء والصفات ، انقسموا إلى ثلاثة أقسام.

القسم الأول –وهو شَرها أردؤها وأسواءها– وهم: الجهمية.

هؤلاء إيمانهم بالله –هم في الحقيقة لا يؤمنون بالله– ، لا يعترفون لله لا باسم ولا بصفة.

وينطبق عليهم تماماً قول الله تعالى :{إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا ۗ أَفَمَن يُلْقَىٰ فِي النَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ ۖ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} [فصلت : 40]

من هو الله عند الجهمية ؟

فرقة اندثرت ، لكن بقي لها نصيب ، من المتكلمين والفلاسفة الى آخره.

يقولون: الله ذات ، ليست لها أسماء وصفات.

ناقشهم شيخ الإسلام في كتبه وطول ، وقرر أن الذات دون الأسماء والصفات ليست موجودة إلا في الذهن ، وليس لها وجود في الخارج، الذات دون أسماء وصفات ليست موجودة أصلاً ، لذا هم يُحرِّمون أن يقولوا : الله حق .

الله موجود!!

ما هي الذات؟

قال هذه الذات في الذهن فقط!

هذا فريق كافر.

في قوم أحسن شوي منهم ، على الراجح أنهم ليسوا كفاراً ، لكنهم ضُلَّال ، أثبتوا لله الأسماء ، ولم يثبتوا لله الصفات، وهؤلاء هم المعتزلة ، قالوا : الله عليم بلا عِلم ، حكيم بلا حكمة ، قدير بلا قدرة.

فأثبتوا لله أسماء دون صفات ، هؤلاء مبتدعة.

بقي ثلاثة أصناف ، قال عنهم والمشايخ وأهل العلم قالوا : هم يمثلون أهل السنة ، وهم على درجات في القرب والبعد من النصوص.

وهم أهل السنة بالمفهوم العام ، ليس بالاصطلاح الخاص ، الذي فيه التزام بالكتاب والسنة.

هؤلاء الثلاثة : الأشاعرة ، والماتريدية ، أهل السنة والجماعة.

بالمفهوم الخاص: هم الثلاثة أهل قبلة ، أهل سنة مفهوم العام ، بمعنى أنهم لا يُكَفَّرون ، ومن كَفَّرَهم ؛ ضَل.

فالأشاعرة يثبتون شيء وينفون شيء.

وأهل السنة يثبتون كل أسماء الله تعالى ، كل ما ثبت في كتاب الله وفي سنة رسول الله ﷺ يثبتوه.

الماتوردية يثبتوه ، ويقولون لا نَعرف المعنى ، يعني الله لما نَزل صفة يد الله فوق أيديهم ، قالوا ما نعرِف ما هي اليد.

سمعتم صوتا؟

فهمتم شيئا؟

ما فهمنا ، ما فهمت شيئا ، ماذا يفعل؟

قالوا :

سمع صوت بدون فهم ، ما فهمنا المعنى ، هذا مذهب الماتوردية.

الصواب: أن نثبت ما أثبته الله لنفسه ، وما أثبته نبينا ﷺ لربه. في قوله تعالى: {سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ (180) وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ (181)} [الصافات : 180-181]

نزه الله تعالى نفسه ، فقال : وسلام على المرسلين.

فكل ما جاء عن أنبياء الله ، فيه صفة لله ؛ نُثبتها.

الإنسان حتى يكون مُعظماً لله ، وحتى يأنس بعمله ، وحتى يظهر أثر الإيمان على قلبه ؛ لا بد أن يثبت ما أثبته الله تعالى لنفسه ، وأن يعتقد اعتقاداً جازماً بأسمائه وصفاته المذكورة في الكتاب والسنة.

فأشد الأنواع المذكورة : مخانيث الجهمية.

نسمع العبارة –ونختم درسنا بها– ، قال رحمه الله تعالى في كتابه الأمثال: ((**وقد شاهدنا نحن وغيرنا كثيرا من مخانيث تلاميذ الجهمية والمبتدعة إذا سمعوا شيئا من آيات الصفات وأحاديث الصفات المنافية لبدعتهم رأيتهم عنها معرضين كأنهم حمر مستنفرة فرت من قسورة**)).

حُمر وحشية ، فَرَّت من قسورة (وهو الأسد). هذا مثل ، لو نظرت بعد ما أن ما تفرغ من الكتاب الذي بين يديك صفحة 287 ، 288.

لوجدت تفصيلا لهذا المثل ، يعني هذا المثل سيأتينا تفصيله ضمن الأمثال.

قال المؤلف رحمه الله: ((**ويقول مخنثهم: سدوا عنا هذا الباب، واقرأوا شيئا غير هذا وترى قلوبهم مولية وهم يجمحون لثقل معرفة الرب سبحانه تعالى وأسمائه وصفاته على عقولهم وقلوبهم وكذلك المشركون على اختلاف شركهم إذا جرد لهم التوحيد وتليت عليهم نصوصه المبطلة الماء الذي به الحياة لشركهم اشمأزت قلوبهم وثقل عليهم لو وجدوا السبيل إلى سد آذانهم لفعلوا**))

المبتدع لا يحب كل كلام الله ، المبتدع يحب ما وافق من كلام الله هواه ، فالهوى هو الأصل.

لذا انتبه!

احفظ هذه القاعدة –وهي قاعدة مهمة–:

السني قاعدته : (استدل ثم اعتقد).

البدعي قاعدته :(اعتقد ثم استدل).

السُّنِّي ، قاعدته: فرغ عقلك ، فرغ قلبك مما سمعت ، مما يقول الناس من المألوف ، ودُر مع (قال الله ، قال رسول الله ﷺ) استدل بـ (قال الله ، قال رسول الله ﷺ) فحيث أوصلك :

قال الله ، قال رسول الله ﷺ. اعتقدتَ.

المبتدع ما هو شعاره؟

اعتقِد ، ثم ابحَث بالكتاب والسنة على مستند لعقيدتك، فالأصل عنده ليس الادلة ، الأصل عنده اعتقد ثم استدل.

ولذا القرآن عند أهل البدع إذا خالف مذهبهم لا يحبوه ، ومن هاهنا قال وكيع ابن الجراح الرؤاسي ، قال مقولة بديعة ، قال : أهل السنة يذكرون ما لهم وما عليهم ، وأهل البدعة يذكرون ما لهم ، ولا يذكرون ما عليهم.

فما من مبتدع إلا ويكره ما يخالف مذهبه وبدعته مِن قال الله قال رسول الله ﷺ.

وإذا وردت عليهم الأدلة التي تناقض الباطل الذي هم عليه ، أحبوا أن تكون آذانهم أصابعهم في آذانهم حتى لا يسمعون.

قال: ((**وكذلك نجد أعداء أصحاب رسول الله ﷺ ثقل ذلك عليهم جدا فأنكرته قلوبهم وهذا كله شبه ظاهر ومثل محقق من اخوانهم من المنافقين في المثل الذي ضربه الله لهم بالماء فإنهم لما تشابهت قلوبهم تشابهت أعمالهم**))

أكثر ما يقلق ويزعج الرافضة ، ما هو؟

أن تذكَر الصحابة ، وأن تتلوَ فضائل عائشة ، وأن تقول أن عائشة أفقه من خديجة.

من أفقه عائشة ولا خديجة؟

عائشة.

صار شعار .

أهل البدعة يقولون خديجة، وأهل السنة يقولون عائشة.

والحق أن عائشة أفقه من خديجة ، خديجة ماتت ولم يشرع شيء في الإسلام ، وخديجة أحن وأحب إلى النبي ﷺ.

نقول الذي لنا والذي علينا.

أبو بكر وعلي.

شعار أهل السنة أبو بكر ، وشعار الرافضة علي.

ابن الجوزي جاءه اثنان رجلان متنازعان ، على أفضلية أبو بكر أو علي.

فأراد أن يسكتهما ، فقال على البديهة –هذا من الذكاء– ، قال من كانت تحته ابنته فهو أفضل.

فانصرفا ، وكل منهما يظن أنه قضى له ، فبنت النبي ﷺ تحت علي ، وبنت أبي بكر تحت النبي ﷺ.

يقول علي في البخاري: من فضلني على أبي بكر حددته ، جلدته حد المفتري –وهذا متواتر– ، ليس قول البخاري فقط ، متواتر ، وقد خرجتُ الأثر ، وطوَّلتُ في تخريجه في تعليقي على المجالسة ، وثبت لدي بالتواتر أن عليا ﷺ ، يقول: من فضلني على أبي بكر فقد حاددتهُ ، حَد المفتري.

فالشاهد: الفرق الضالة إن ذَكرتَ على مسامعهم شيئاً يخالفُ ، ويناقض مذهبهم ، انزعجوا ، وقلقوا. لا يحبون هذه النصوص التي هي من الله ومن رسوله، لماذا؟

هذا مثلهم مثل أهل النفاق ، لكن النفاق ليس شاملاً لكل شيء ، وإنما بمقدار ما وقع من الضلال ، وفيه ذاك المقدار الذي عليه أهل النفاق ؛ طابقَ هذا ذاك.

السعيد في هذه الحياة ؛ من فرغ قلبه وعقله إلى الكتاب والسنة والاجتهاد، الكتاب والسنة والاجتهاد هذه الأيام أسهل بكثير من ذي قبل ، ما أكثر الكتب ، والله في كتب في مكتباتنا كتب دخلت خسارات في قلوب الكبراء والعلماء القبور لأنهم لم يروها ، وتشتريها أنت الآن ، وهي بين يديك تقرأها الآن.

الخلاصة:

الإيمان عمل ، والإيمان علم ، فمن اجتمع له مادة الايمان ، وثبت عليها ، واستقام عليها في الظاهر والباطل ؛ برئ من حال مثل المنافقين الناري والمائي ، وأخذ ما في المثالين من الحياة فجمع بين الهدى والأمن، الهدى في المثل الناري ، والأمن في المثل المائي ، فجمع بينهم، فالمؤمن يعيش في هدى ، ويعيش في أمن، يخالف عكس الخوف ، وعكس الهدى ؛ الضلال ، وعكس الأمن الخوف، هذا حال المؤمن ، وهذا هو حال المثالين ، والسبب الرئيس إنما هو معرفة المؤمن بربه، وهذا الذي ذكره الله تعالى في المثل المائي والناري في حق المؤمنين ، وهذا نصيبنا في الدرس القادم إن شاء الله.

وهذا من بديع صنيع ابن القيم ، ذكر مثالين بحق المنافقين ، ثم رجع إلى المثالين في حق المؤمنين.

نشرح هذا إن شاء الله في الدرس القادم .

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا مُحَمَّد.